الشيعة لغة واصطلاحا

<"xml encoding="UTF-8?>

الشيعة لغة : هي المشايعة – أي المتابعة والمناصرة والموالاة ، فالشيعة بالمعنى اللغوي : هم الأتباع والأنصار وقد غلب هذا الاسم على أتباع علي (ع) حتى اختص بهم وأصبح إذا أطلق ينصرف إليهم .

ففي (القاموس) – وشيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره ، والفرقة على حدة ويقع الواحد ، والاثنين والجمع ، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد . وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنه يتولى عليا (رض) وأهل بيته حتى صار لهم اسما خاصا ، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم (1) .

وقال صاحب كتاب (لسان العرب) : والشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيع وقال نقلا عن الأزهري :

والشيعة يهوون هوى عترة النبي (ص) ويوالونهم (2) .

وبهذا المعنى اللغوي استعمل القرآن الكريم لفظة (الشيعة) كما في قوله تعالى : (وإن من شيعته لإبراهيم) (3) . أي ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة الكاذبين (4) وكقوله تعالى : (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) (5) أي ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل (6) .

ونرى الزمخشري في شرحه للآية (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين) (7) يقول في شيع الأولين : فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة إذا تفرقوا على مذهب وطريقة .

ويقول سبحانه وتعالى : (ولقد أهلكنا أشياعكم) (8) . والخطاب يعني أهل مكة ، وقال عز وجل : (كما فعل بأشياعكم من قبل) (9) .

والمعنى هنا أهل مكة أيضا . وقوله تعالى : (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا) (10) هذا ما يذهب إليه مقاتل بن سليمان من أقدم من فسر القرآن ، وصاحب (الأشباه والنظائر) (11) وهذا يفسر لنا

أن لفظة (شيعة) قد وردت في الكتاب قبل ظهورها بالفعل .

فلفظ الشيعة إذا ليس مخصوصا بفرقة دون فرقة ، بل يشمل كل فرقة أجمعت أمرها على شئ ، غير أن هذه اللفظة خرجت عن هذا العموم ، وغلبت على من تمسك بأهل البيت الطاهر حتى صارت لهم اسما خاصا يمتازون به عمن عداهم من سائر الفرق الإسلامية .

وكتب (اللغة) حافلة بلفظ (الشيعة) أمثال : (المصباح المنير) و (الصحاح) .

الشيعة اصطلاحا : وانطلاقا من كون التشيع اعتقادا بآراء معينة ذهب العلماء والباحثون تبعا لذلك إلى تعريفه على اختلاف بينهم في مدى سعة هذه التعاريف وضيقها وإليك نماذج من تعريفاتهم :

(1) الشيعة : من شايع عليا – أي أتبعه وقدمه على غيره في الإمامة وإن لم يوافق على إمامة باقي الأئمة ، فيدخل منهم الإمامية والجارودية من الزيدية والإسماعيلية غير الملاحدة منهم والواقفية والفطحية (12) .

(2) الشيعة : هم من شايع عليا وقدمه على أصحاب رسول الله – صلوات الله عليه وآله – واعتقد أنه الإمام بوصية من رسول الله أو بإرادة من الله تعالى نصا كما يرى الإمامية أو وصفا كما يرى الجارودية (13) .

(3) الشيعة : هم الذين شايعوا عليا على الخصوص وقالوا : بإمامته ، وخلافته ، نصا ووصية أما جليا وأما خفيا . واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده (14) .

(4) الشيعة : هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمن النبي ومن وافق مودة علي (15) .

(5) والشيعة : هم الذين شايعوا عليا في إمامته واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده ، ويقولون : بعصمة الأئمة من الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولا وفعلا إلا في حال التقية إذا خافوا بطش ظالم (16) .

ولعل تعريف الشهرستاني أكثر تدقيقا لأنه يؤكد على النص بنوعيه – الجلي والخفي – وهو أمر ضروري لتمييز الشيعة خاصة الإمامية ، عن غيرهم من المسلمين .

ويتناول الشيخ الطوسي الكلام عن النص والوصية ويربط التشيع بالاعتقاد بكون علي إماما للمسلمين بوصية من الرسول وبإرادة من الله (17) ثم يقسم النص على نوعين : الجلي والخفي .

أما النص الجلي : فقد تفرد بنقله الشيعة الإمامية خاصة – وإن كان في أصحاب الحديث ما رواه على وجه نقل أخبار الآحاد . . .

أما النص الخفي : فيرى الطوسي أيضا أن جميع الأمة تلقته بالقبول ، وإن اختلفوا في تأويله والمراد منه ولم يقدم أحد على إنكاره ممن يعتد بقوله (18) .

وقد يكون النص الجلي على إمامة علي وصفا لا تسمية ، كما يرى الجارودية من الزيدية . قال الأشعري : إن الجارودية يزعمون أن النبي (ص) نص على علي بن أبي طالب بالوصف لا بالتسمية ، فكان هو الإمام من بعده .

ويخرج الطوسي السليمانية من الزيدية من فرق الشيعة لأنهم لا يقولون بالنص ، وإنما يقولون : إن الإمامة شورى ، وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وأنها تصلح في المفضول . . (20) ولما كان قول الصالحية والبترية من الزيدية في الإمامة كقول السليمانية (21) ينطبق عليهم ، على رأي الطوسي ، ما ينطبق على السليمانية .

ونختتم التعاريف التي أوردناها للشيعة، بتعريف ابن حزم الذي نعده من أكثر التعاريف شمولا وأقربها للتدقيق.

يقول ابن حزم : ومن وافق الشيعة في أن عليا (رض) أفضل الناس بعد رسول الله (ص) وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا (22) .

ومما حدانا إلى تفضيل تعريف ابن حزم هو أن الاعتراف بأفضلية الإمام علي (ع) على الناس بعد رسول الله (ص) ، وأنه الإمام والخليفة بعده ، وأن الإمامة في ذريته من فاطمة (ع) هو أساس التشيع وجوهره .

ففرق الزيدية التي تساهلت بقضية أفضلية الإمام علي (ع) علي سائر الصحابة ، وجماعات الغلاة التي خرجت عن حد الإمامة إلى الربوبية يصعب حشرها في إطار التشيع العام .

ونرى الدكتور الشيبي يناقش بعض العبارات الاصطلاحية التي أدخلها الإسلام مثل الأنصار ، والمهاجرين ، والتابعين ، والشيعة ، فيقول :

فالأنصار تنصرف إلى من ناصروا النبي (ص) من أهل المدينة كما تنصرف العبارات الأخرى إلى دلالاتها المعروفة.

وصارت عبارة (الشيعة) مختصة بمشايعي علي (ع) وناصريه .

ويخلص الشيبي إلى القول بأصالة عبارة (الشيعة) وصدورها عن روح الإسلام وطابعه الجديد في إطلاق الأوصاف على الجماعات التي يجمعها جامع معين ، وتلك الروح العربية تنعكس من طابع العرب وطراز تفكيرهم . وعبارة الإسلام نابعة من هذا المنبع ، والمسلمون هم المنقادون لله ، والأنصار من نصروا النبي (ص) ، والمهاجرون من هجروا الأوطان لنصرة النبي (ص) . . . والشيعة من شايعوا عليا ، وكل ذلك جار على أسلوب العرب وطابعهم.

---

(1) النهاية : ج 2 ص 246 .
(2) لسان العرب : مادة (شيع) ج 1 ص 55 ، و (تاج العروس) : مادة (شيع) ، ج 5 ص 5 .
(3) سورة الصافات : آية 83 .
(4) الكشاف : ج 2 ص 483 .
(5) سورة القصص : آية 15 .
(6) الكشاف : ج 2 ص 375 .

(7) سورة الحجر : آية 10 .

(8) سورة القمر : آية 51 .

(9) سورة سبأ : آية 54 .

(10) سورة مريم : آية 69 .

(11) الأشباه والنظائر : ص 154 .

(12) شرح اللمعة : ج 2 ص 288 .

(13) موسوعة العتبات المقدسة : المدخل ص 91

(14) الملل والنحل : ج 1 ص 107 .

(15) فرق الشيعة .

(16) دائرة معارف القرن العشرين : ج 5 ص 424 .

(17) تلخيص الشافي : ج 2 ص 56 – 57 .

(18) نفس المصدر : ج 2 ص 56 .

(19) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ج 1 ص 133 .

(20) نفس المصدر ، ج 1 ص 135 .

(21) الملل والنحل ج 1 ص 42 .

(22) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ج 2 ص 113 .